التناسق الموضوعي في السور القرآنية
سورة القارعة أنموذجًا

د. عائشة محمد الغويل
كلية التربية – جامعة مصراتة
a.alghwail@edu.misuratau.edu.ly

تاريخ الاستلام 2020.02.02 تاريخ النشر 2020.10.03

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة التناسق الموضوعي في سورة القارعة التي هي من السور القصار ذات المقصد والموضوع الواحد وهي وإن غلب عليها بروز المقصد؛ إلّا أنّ العلاقة بين مفرداتها في سياق الآيات والمفردات فيما بينها على تفرّد بعضها هي وجه من وجوه إعجازها كلماً وأسلوباً.

وهذا يظهر باستجلاء الروابط المعنوية التي تبرز بين آياتها جميعاً وكما بين مفرداتها بما يظهر وجه إعجاز القرآن الكريم من حيث بناء هذه السورة مستقلة، وقد خلصت هذه الدراسة إلى عدد من النتائج أظهرت أنّ للسورة الكريمة طابعاً متفرداً عن نظائرها من السور التي جاءت تنذر بالبعث وتخبر عن أحوال الخلق عند الجزاء وهذا ما أبرزته فرائد ألفاظها وتراكيبها.

الكلمات المفتاحية: التناسق الموضوعي، التناسب، تناسق المفردات، القارعة، عيشة، أمه.

مقدمـــة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن وجعله فرقاناً برهاناً فَرَق به بين الحق والباطل وصدّق به رسوله الكريم وهدانا به إلى الصراط المستقيم، والصلاة والسلام على رسول الهدى والرحمة المهداة وعلى آله الطاهرين وصحبه الغرّ الميامين، أمّا بعد:

فإنّ القرآن الكريم معجزة الله تعالى الخالدة لا تنفذ عجائبه ولا تفنى، ولا تزول حلاوته ولا تبلى، ومن أدقّ أوجه إعجازه التناسق والتناسب بين موضوعات سوره، والتناسق بين كل سورة

وأخرى، فالقرآن العظيم وحدة متكاملة لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تناسقت مبانيه وانتظمت معانيه، ولمّا كانت دراسة علم المناسبة الموضوعية والتي يطلق عليها بعض العلماء التناسق الموضوعي علم يساعد على فهم دقائق الاختلاف بين السور ذات الموضوع الواحد، ويبيّن العلاقات بين آيات السورة الواحدة، وهذا الفرع من علوم التفسير لازال في بدايات التأليف فيه رغم وجود أصله في تصانيف المتقدمين إلاّ أنّ المتقدمين اعتنوا باستخراج المناسبات التي تربط أوائل السور مع أواخرها، والمناسبات بين بعض الآيات في السورة الواحدة وموضوعها، وكذا مناسبة السور بعضها بعضاً، غير أنّ للدراسة في مجال التناسق الموضوعي خصيصة أخرى وهي إبراز جمالية المفردة القرآنية منتظمة في سورتها؛ ممّا يُظهر ما تتفرّد به كلّ سورة من السور ذوات الموضوع الواحد، وهذا يلغي ما يتسابق على إثباته المغرضون من القول ببشرية القرآن الكريم وأنّه تجربة شخصية لمحمد صلى الله عليه وسلّم ويثبت أنّه من عند الله تبارك وتعالى.

أهمية الدراسة:

- إبراز التناسق الموضوعي في السورة الواحدة يظهر جوانب الإعجاز القرآني جميعها فهو يبيّن التماسك البنيوي للسورة الواحدة ويبرهن على ائتلاف مبانيها وانتظام معانيها وبهذا وقع تحدّي الله سبحانه لبلغاء العرب وفصحائهم.
- دراسة التناسق الموضوعي للسور القرآنية يوصل إلى إدراك الترابط المعنوي بين الآيات القرآنية في السورة الواحدة ممّا يؤدي إلى استنباط الهدايات القرآنية والنكات التفسيرية.
- إبطال الشبهات التي يثيرها الطاعنون في القرآن الكريم القائلين ببشرية مصدره الذين يقولون باضطراب موضوعات سوره وورود التكرار فيه.

الدراسات السابقة:

لم أعثر على دراسة تناولت سورة القارعة من هذا الجانب عينه إلاّ أنّ هناك دراسات عن السورة من نواحٍ أُخر، كما تناول الباحثون التناسق الموضوعي في السور القرآنية في أبحاث عديدة، سأذكر أقربها لهذا البحث:

- سورة القارعة دراسة لغوية، للباحثين علاء جاسم، وحيدر عبد الزهرة معيوف، بحث منشور في مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد 40، سنة 2016م، وناقش فيه الباحثان المستويات الدلالية لمفردات سورة القارعة ولكن الدراسة خلت من تناول جانب التناسق الموضوعي الذي يبرز ترابط المفردات في دلالاتها وموضوع السورة.
- أسلوب الترقي وتصعيد المعاني، للباحث خالد محمد العثيم، نشر البحث في مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، فرع الزقازيق، مجلد 11، العدد 13، لم أتمكن من الحصول على هذا البحث كاملاً وما وقع بين يدي منه هو مقدمته ويظهر منها أنّ الدراسة تنصب على الجانب البلاغي فقد ظهر خلال هيكلية البحث إذ قسّمها الباحث إلى: جانب نظري وتطبيقي، تناول في الجانب التطبيقي حسب قوله التشبيه، والمقابلة، والشرط والجزاء، وبراعة الاستهلال.
- وحدة النسق في السورة القرآنية فوائدها وطرق دراستها، للباحث رشيد حمداوي، بحث منشور في مجلة الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد الثالث، سنة: 1428هـ.

منهج البحث:

يعتمد البحث على مناهج أربعة هي:

الاستقرائي: تتبع أقوال العلماء في تفسير السورة وما ذكر في دقائق معانيها.

التحليلي: سيجري من خلال هذا المنهج تدقيق ودراسة الأقوال التفسيرية للعلماء في تفسير آيات السورة لإظهار الروابط والعلاقات التي تبرز التناسق الموضوعي للسورة.

الاستنباطي: استنتاج الروابط والصلات بين مفردات السورة وآياتها وبين الآيات بعضها ببعض.

التناسق الموضوعي لغة واصطلاحاً:

أولاً: التناسق لغة واصطلاحاً.

التناسق لغة: اسم لأصل صحيح واحد هو: النون والسين والقاف يدل على تتابع في الشيء[1].

1- أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979م، 5/ 420، مادة (نسق).

والنَّسَقُ من كل شيء: ما كان على نظام واحد عام في الأشياء[2]، ويقال: نَسَقته نسقاً ونسّقْته تنسيقاً، وجاز أن يخفف، فيقال: انتَسَقتْ هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي تنسقت[3].

والعرب تقول لطِوار الحبل إذا امتدّ مستوياً خذ على هذا النسق، أي: على هذا الطِّوار، ويقال: نسق بين الأمرين وكذا ناسقت، أي: تابع بينهما، ومنه سمّى النحاة حروف العطف حروف النسق لأنّ الشيء إذا عطفت عليه شيئاً بعده جرى على مجرى واحد[4]، والملاحظ أنّ مفردة النّسق إذا أطلقت فيراد بها التتابع في حسن تلاؤم وتنظيم.

أمّا اصطلاحاً فليس له بين العلماء اصطلاح متواضع عليه وقد ذهب غير واحد إلى أنّ ما جاء على لسان الفراهيدي في بيانه لغة هو غاية ما يمكن أن يذكر له حدّاً.

ثانياً: الموضوع لغة واصطلاحاً.

الموضوع لغة:

الموضوع مفعول من قولهم: وضع الشيء وضعاً، الواو والضاد والعين: أصل واحد يدل على الخفض للشيء وحطّه[5]، بينما قال الأصفهاني: "الوَضْعُ أعمّ من الحطّ، ومنه: المَوْضِعُ"[6].

وذكر من سوى ابن فارس ثلاثة معانٍ هي: **الاختلاق** من قولهم: وضع الشيء وضعاً أي: اختلقه.

2- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2003م، 5/ 81، مادة (نسق).

3- ينظر: الفراهيدي، كتاب العين، 5/ 81، مادة (نسق)، وابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، تح: عبد الله الكبير وآخرين، دار المعارف، [د. ت]، 10/ 352، مادة (نسق).

4- ينظر: محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تح: عبد السلام هارون وآخرين، الدار المصرية، [د. ت]، 8/ 313، مادة (نسق)، وابن منظور، لسان العرب، 10/ 353، مادة (نسق).

5- ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة: 6/ 117، مادة (وضع).

6- الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت – لبنان، [د. ت]، ص874، مادة (وضع).

و**الاتفاق** من قولهم: تواضع القوم على الشيء: اتفقوا عليه، وأوضعته في الأمر إذا وافقته فيه على شيء.

ويأتي على معنى رابع وهو وضع الشيء في المكان: أثبته فيه وألزمه إيّاه وهو المعنى الذي يدور حوله البحث.

ومنه يقال في الحجر واللبن إذا بني به: ضعه غير هذه الوضعة، والوضعة والضعة كله بمعنى، ومنه قولهم عن الحمض (نبات ترعاه الإبل): الوضيعة، والجمع وضائع، وهؤلاء أصحاب الوضيعة أي أصحاب حمض مقيمون فيه لا يخرجون منه، وناقة واضع وواضعة ونوق واضعات فهي موضوعة: أي: ألزمها ربّها المرعى؛ ترعى الحمض حول الماء.

وتسميتهم الوضيعة لقوم كان كسرى ينقلهم من أرضهم فيسكنهم أرضاً أخرى لا يبرحونها فهم موضوعون شبه الرهائن ينزلهم بعض بلاده ويلزمهم بها[7].

والمعنى الأخير استعير في الدراسات القرآنية لنوع خاص من تفسير القرآن الكريم يلتزم المفسر فيه بدراسة مجموعة آيات في معنى معين لا يتجاوزها إلى غيرها حتى يفرغ من تفسيرها.

الموضوع اصطلاحاً:

عرّف الجرجاني الموضوع بأنّه: محل العرض المختص به، وقال غيره: هو الأمر الموجود في الذهن[8].

التناسق الموضوعي مركباً:

يعدّ هذا المفهوم من المفاهيم المعاصرة في الدراسات التفسيرية ويطلق عليه بعض الباحثين اسم "النسق الموضوعي"، ويرى بعض الباحثين أنّه صنو علم المناسبات بينما يرى آخرون أنّ بينهما عموماً وخصوصاً، ومن هؤلاء بازمول الذي جعله جزءاً من علم المناسبات، فعرّفه على

7- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 8/ 396 - 401، مادة (وضع).

8- علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، ضبط: محمد القاضي، ط 1، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، 1991م، ص236.

أنّه: "المعنى الذي يربط موضوعات السورة ويبين علل ترتيبها؛ لإبراز التلاؤم والانسجام والنظام والتتابع بين الموضوعات"[9].

أي أنّ هذا العلم يبحث في العلاقات الرابطة بين موضوعات السورة الواحدة وذلك يفتقر فيه إلى استنباط وتحرير مقاصد السورة ليتوصّل إلى محورها العام الذي تنتظم جميع آياتها لخدمته سواءً كانت هذه الآيات ذاكرة للأسباب أو مذكرة بالجزاء من ثواب وعقاب؛ وإبراز علل ترتيب الآيات والتلاؤم بين أغراضها ومعانيها.

وهذا النوع من الدراسات التفسيرية يبرز الشخصية المستقلة لكلّ سورة من السور وتظهر الحاجة إلى ذلك في السور القصار التي تتحدث عن موضوع واحد فغالب هذه السور وإن اشتركت في موضوعها إلاّ أنّ لكل واحدة جانباً خاصّاً لا يظهر في غيرها ومثاله ذكر يوم القيامة في سورة الزلزلة والقارعة فالمتأمل لمفردات السورتين وأسلوبهما يظهر له أنّ كلّ واحدة منها تخبر عن حال من أحوال يوم القيامة ومرحلة من مراحلها، وهذا يخدم جانباً من جوانب دراسة الإعجاز القرآني، وظاهر من ذلك أنّ دارسة التناسق الموضوعي للسورة هو أعم من دراسة التناسب فعلم التناسب غالباً ما يتناول فيه الباحث قسماً من أقسامه تأسياً بديدن المتقدمين كالغرناطي والبقاعي وغيرهما.

سورة القارعة موضوعها ومناسباتها.

قال تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ (1) مَا الْقَارِعَةُ (2) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (3) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ(4) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ(5) فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (6) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (7) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (8) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (9) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (10) نَارٌ حَامِيَةٌ (11)﴾.

9- محمد بن عمر بازمول، التناسق الموضوعي في السورة القرآنية، مذكرة لطلبة الدراسات العليا، جامعة أم القرى، السعودية، ص11.

سورة القارعة مكية بلا خلاف نزلت بعد قريش وقبل القيامة، وترتيبها في المصحف واحد بعد المائة قبل التكاثر وبعد العاديات[10].

عدد آياتها ثماني آيات في البصري والشامي، وعشر في المكيّ والمدني، وإحدى عشرة في الكوفي واختلافهم في عدّ ثلاث آيات: ﴿الْقَارِعَةُ﴾ الأولى عدّها الكوفي ولم يعدّها الباقون، ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ و﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ لم يعدّها البصري والشامي وعدّها الباقون[11].

1- اسم السورة ومناسبته لموضوعها:

اتفقت المصاحف على تسميتها بسورة القارعة ولم يرد لها اسم سواه في المصاحف ومؤلفات التفسير وعلوم القرآن[12]، ويظهر أنّها سمّيت بهذا الاسم لتصدّر السورة بهذا اللفظ وبخاصة أنّ مفردة القارعة لم تذكر في القرآن الكريم سوى مرتين في غير هذه السورة وكلاهما متأخر النزول عن سورة القارعة وهما قوله تعالى: ﴿وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[13]، وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ أمّا موضوعها فهو البعث والجزاء وما يقع فيه من أهوال، واسمها يتناسب وموضوعها من هذه الجهة إذ قوارع الأمور هنّ الملمات منها والمفزعات، وآيات السورة جميعها تخبر بهول المصاب يوم القيامة إلاّ لمن كان من أهل العيشة الراضية[14].

10- ينظر: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبوالفضل، ط3، مكتبة دار التراث، 1984م، 1/ 193.

11- ينظر: عثمان بن سعيد الداني، البيان في عدّ آي القرآن، تح: غانم قدوري أحمد، ط 1، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق الكويت، 1994م، ص285، والزركشي، البرهان في علوم القرآن: 1/ 193.

12- ينظر: محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد "التحرير والتنوير"، الدار التونسية للنشر، 1984م، 30/ 509.

13- سورة الرعد، الآية 31.

14- ينظر: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ط 1، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، [د. ت]، 22/ 220.

2- مناسبة السورة للسورتين قبلها وبعدها:

وقعت سورة القارعة بين سورتي العاديات سابقة لها في ترتيب المصحف، والتكاثر تالية لها في الترتيب أمّا مناسبتها لسابقتها وهي العاديات فيقول البقاعي: "لما ختم العاديات بالبعث ذكر صيحته فقال: ﴿الْقَارِعَةُ﴾"[15].

أي أنّه تعالى لمّا ختم سورة العاديات بإخباره تعالى للناس بأنّه مخرجهم من قبــورهم وأنّه خبير بما في صدورهم، ومجازيهم بما كسبوا وقد جاء التعبير عن المجازة بخبرته بنواياهم ليقرّ في نفس السامع أنّه محيط بجميع أعمالهم ونتيجة العلم بعد الوعد والوعيد المجازاة، لذا جاءت سورة القارعة لتبيّن متى يكون يوم الجزاء وما فيه من أهوال وما يلحق ذلك من ثواب وعقاب[16].

بل قد جاء في السورة أيضاً ذِكر ما يكون سبباً من أسباب اقتراف السيئات وهو الكفر بنعم الله والامتناع عن الإنفاق خشية الإملاق فطبيعة البشر تدعوهم إلى حصر إدراكهم في ما يملكون من الرزق في حاضرهم ويتناسون ما أنعم الله به عليهم في ماضي أعمارهم وينسون حسن الظن بالله في قادم أيامهم[17].

15- المصدر السابق: الصفحة نفسها.

16- ينظر: فخر الدين محمد ابن ضياء الدين عمر الرازي، التفسير الكبير "مفاتيح الغيب"، ط 1، دار الفكر للطباعة والنشر، 1981م، 32/ 265، والمراغي أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، ط 1، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، مصر، 1946م، 30/ 224، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 507، والزحيلي وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط 2، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، 1418هـ، 30 / 374.

17- ينظر: المراغي، تفسير المراغي: 30/ 223، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 503 – 506.

أمّا مناسبتها لما بعدها وهي سورة التكاثر فقد قال أبو جعفر الغرناطي: "لما تقدم ذكر القارعة وعظيم أهوالها أعقب بذكر ما شغل وصد عن الاستعداد لها وألهى عن ذكرها وهو التكاثر بالعدد والقربات والأهلين"[18].

أي أنّ القارعة لمّا تحدّثت عن القيامة وما فيها من جزاء وختمت بذكر مآل الكافرين بوحدانيته ونعمه جاءت سورة التكاثر معلّلة لما هو سبب للوقوع في عصيان الله تعالى قلّ أو كثر، وهي المكاثرة بملذات الدنيا فالكافر بعبوديته لله إنّما يتجرأ على ذلك لما رأى من عفو الله وعظيم عطائه له.

تناسق المفردة والموضوع:

افتتح الله تعالى هذه السورة الكريمة بلفظ "الْقَارِعَةُ" الذي هو اسم من أسماء يوم القيامة، وقد أطلقها العرب على النازلة الشديدة التي تنزل عليهم بالأمر العظيم الجلل، قال الشاعر:

كَعْكَعْتُهُ بالرّجم والتنجّهِ *** أو خاف صقْعَ القارِعَات الكدّهِ[19]

18- أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن، تح: سعيد بن جمعة الفلاح، ط 1، دار ابن الجوزي، 1428هـ، ص375.

19- كعع: تلكأ وجبن، والمقصود باللفظ كعكعته، أي: جعلته يجبن ويخاف لقائي، من قولهم أكعّه الفَرَق عن ذلك. ينظر: الفراهيدي، العين: 36/4، مادة (كعّ). والتنجّه من قولهم نجهه نجهاً إذا قابله بما يكره فنهره وزجره. ينظر: ابن منظور، لسان العرب: 48/ 4359، مادة (نجه)، والصّقع: تطلق على الصوت ما كان مرتفعاً متتابعاً. ينظر: ابن منظور، لسان العرب: 28/ 2473، مادة (صقع). والكدّه من قولهم كدّ الشيء كدّه إذا صكّه بنحو يؤثر فيه أثراً شديداً، أو كسره. ينظر: ابن منظور، لسان العرب: 42/ 3838، مادة (كده)، والبيت لرؤبة بن العجاج، العجاج، رؤبة بن عبدالله العجاج السعدي التميمي، ديوان رؤبة بن العجاج، تح: سعد ضنّاوي، ط 1، دار صادر، بيروت، 1997م، ص166، والشاهد فيه لفظ: القارعات.

ويقال فلان قرعه أمر إذا أتاه فجأة، وجمعها قوارع، القَرْعُ ضرب الشيء بآخر بشدّة لها صوت وسميت القيامة قارعة؛ لأنّها تقرع الأسماع وتفزع القلوب لهولها ولذا صارت علم على يوم القيامة[20].

ومفردة القارعة ذات جرس مدوٍ يدعو إلى إدخال الرعب في الروع قبل الإنصات لما بعدها، فقد امتازت أحرف اللفظ بالقوة، وتزداد هذه الكلمة دلالة على الحدث بجرسها إذا ما قرئت بالوقف فيها إذ أنّها تصور الاضطراب الحاصل بين الناس بما سبقه من النفخ في الصور وفي شخوص الناس للحساب وتظهر حسرة المفرطين وهنا لا أنسب من الهاء لإظهار مقدار ألمهم وحسرتهم[21]، وقد ناسب بذلك معنى اللفظ وجرسه هول المشهد المخبر عنه الذي هو القيامة.

أمّا لفظ "الفَرَاشُ" فيطلقه العرب على فرخ الجَراد، حين يخرُج من بيضه من الأرض، وقد يطلق لفظه على ما يطير من الحشرات، ويتساقط على النار لَيْلاً، وقال الفرَّاء: هو "غوغاء الجراد يركب بعضه بعضاً"[22].

وقد شبه الخلق بالفراش لاضطرابهم فالفراش إذا ما ثار لم يقصد جهة واحدة بل ماج بعضه في بعض[23]، ويرى الرازي إنّ تشبيه الخلق يوم القيامة بالفراش قد يكون لضآلتهم بسبب احتراقهم بحرّ شمس ذلك اليوم[24].

20- ينظر: الفراهيدي، العين: 3/ 379، مادة (قرع)، وابن منظور، لسان العرب: 40/ 3595 – 3596، مادة (قرع).

21- ينظر: سيد بن قطب، مشاهد القيامة في القرآن، ط 14، دار الشروق، القاهرة، 2002م، ص76.

22- يحيى بن زياد الفراء، معاني القرآن، ط 3، عالم الكتب، 1983م، 3/ 286.

23- ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب: 32/ 266، محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط، تح: عادل عبد الموجود وآخرين، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993م، 10/ 533، سراج الدين عمر بن علي الحنبلي، تح: عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1998م، 20/ 472.

24- ينظر: مفاتيح الغيب: 267/32.

أمّا لفظ "الْمَبْثُوث" فيراد به المتفرق على وجه الأرض في كل الجهات[25]، والظاهر أنّ لفظ المبثوث هنا يراد به الكثرة إذ انتشارهم دالّ على كثرتهم فالفراش لا يجتمع في أسراب بخلاف الجراد الذي ذكره تعالى في قوله: ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾.

وعند النظر في قوله تعالى: ﴿الْمَبْثُوث﴾ تظهر فاصلة "الثاء" التي هي من حروف النفث[26] الذي يقصد به: "بعثرة النفس ببطء أثناء خروجه بين طرف اللسان والأسنان العليا عند حدوث الصوت، ممّا يماثل الأحداث الطبيعية التي تتضمن البعثرة والتخليط"[27].

وهذا المعنى للحرف يدلّ بدلالته الصوتية على المعنى الذي يظهر في حركة الفراش من الانتشار والاضطراب، وظاهر أنّ التركيب بشقيه قد دلّ على معنيين اثنين هما:

1- الاضطراب والكثرة وفي ذلك إشارة إلى اجتماع الناس في أرض المحشر جميعاً.

2- إشارة إلى الحيرة التي منشؤها الخوف من هول الساعة.

أمّا الْعِهْن: فجمع "عِهْنة" وقد يجمع على عُهُون، وهو الصوف المصبوغ ألواناً، وقيل هو كلّ صوف[28].

وقد ناسب إطلاق لفظ العهن على الجبال لإخبار الله تعالى بأنّها ذات ألوان في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾[29].

25- ينظر: أحمد بن يوسف السمين الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تح: أحمد الخراط، ط 1، عالم الكتاب، 1414هـ، 1/ 159.

26- ينظر: عثمان بن جني، سرّ صناعة الإعراب، تح: حسن هنداوي، ط 2، دار القلم، دمشق، 1993م، 1/ 171.

27- حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998م، ص61.

28- ينظر: الفراهيدي، العين: 3/ 247، مادة (عهن)، والأصفهاني، المفردات في غريب القرآن: ص351، مادة (عهن).

29- سورة فاطر، الآية 27.

أمّا الْمَنْفُوشِ فهو الصوف إذا فرّق بعض أجزائه عن بعض[30]، وناسب وصف الجبال بالعهن المنفوش لفظ القارعة بأمرين، الأول: أنّ القرع من طرائق نفش الصوف، والثاني: أنّ الجبال تهشّم بالمقراع "الفأس العظيم"[31].

وتظهر في قوله تعالى: ﴿الْمَنْفُوشِ﴾ فاصلة الشين الذي هو من أحرف الصفير، غير أنّه يمتاز عنها بالتفشي الذي هو:" كثرة انتشار الريح (الزفير) بين اللسان والحنك وانبساطه في الخروج عند النطق بها"[32].

وحرف الشين بهسيسه الصوتي الذي يوحى بالانسحاق والتفتت كما يوحي بانتشار وتدافع أهل المحشر، وهذا التلاؤم بين الإيقاع يظهر صورة الناس في انتظار الحساب.

وفي قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (6) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (7) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (8) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ وردت كنايتان، الأولى: ﴿ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ كناية عن كون العبد بمحلّ الرضى من الباري لصلاح الأعمال، والأخرى: ﴿خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ وهي كناية عن كون العبد بمحلّ سخط الباري عز وجل لسوء الأعمال وكفره به[33]، وفي هذه الآيات نوع من البديع هو المقابلة وطرفها الأول حال أهل الجنة في ثقل الموازين، وطرفها الثاني حال أهل النار في خفة موازينهم.

وأمّا لفظ الموازين ينبّه بصيغته على أنّ الله تعالى محاسب العبد على جميع أعماله ففيه إخبار من الله تعالى بأنّ لكل عمل جزاؤه فمن غلبت سعادته ثقل ميزان حسناته، ومن خاض في شقوته ابتعد عن صالحات الأعمال لم يجد يوم القيامة منها ما يثقّل به ميزانه، أيّ أنّ الله سبحانه عدّد للعبد أسباب النجاة فقد بسط له طرق العمل الصالح التي تثقل الميزان ولم يجعله

30- ينظر: الفراهيدي، العين: 4/ 250، مادة (نفش).

31- ينظر: فاضل بن صالح السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ط 3، دار عمار، الأردن، 2003 م، ص198.

32- مكي بن أبي طالب القيسي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تح: أحمد فرحات، ط 3، دار عمار، عمان – الأردن، 1996م، ص135.

33- ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 513.

حكراً على عبادة بعينها أو قربة دون سواها بل جعل التوحيد والامتثال للواجبات واجتناب المحظورات جميعها أعمالاً تورث الحسنات فمن لم يغنم منها طريقاً للجنة فقد هلك وإن ظنّ أنّه قد أحسن صنعاً.

أمّا قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ تحدّث غالب العلماء عن لفظ راضية وما يظهره من هناء المقام ودعته واختلفوا في كون العيشة مرضي بها أم أنّها هي بنفسها فاعلة للرضا فهي منقادة لأهلها في لين، وقال آخرون أنّ راضية وإن أُسندت للعيشة فليست هي المرادة بذلك وإنّما المراد عائشها راضٍ بها إذ ليس فيها ما ينكدها[34]، وفي القول الثاني مجاز عقلي أيّ: إسناد يدرك بالعقل وعلاقته محلية، فالذي يرضى بها هو الذي يعيش فيها[35].

وقد تحدّث غالب العلماء عن لفظ راضية وما يظهره من هناء المقام ودعته، بينما يكتفون بتفسير لفظ المعيشة على أنّه مصدر من العيش، ولكنّ البقاعي قد ذكر فائدة للفظ "عيشة" قد لا تظهر في لفظ سواه فقال: "ولعله ألحقها الهاء الدالة على الوحدة –والمراد العيش– ليفهم أنها على حالة واحدة – في الصفاء واللذة وليست ذات ألوان كحياة الدنيا"[36].

أيّ أنّه جاز في اللغة أن يقال: "فهو في عيش راضٍ" ولكنّ هذا في مقابل ما جاءت عليه الآية ليس ببلاغة تعبير، لأنّ كلمة عيش مصدر من الثلاثي عاش يعيش وبما أنّها مصدر فهي تدلّ على أصل المعنى دون زيادة أي مطلق العيش، أمّا قوله تعالى: ﴿عيشة﴾ فهو مصدر دال على الهيئة على وزن فِعلة، والمصدر الدال على الهيئة يفيد الانتظام والامتداد؛ أي أنّ رغد

34– ينظر: عبد الحق بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد الله الأنصاري وآخرين، ط 2، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2007م، 30/ 678، والرازي، مفاتيح الغيب: 32/ 268، والقرطبي محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تح: عبد الله التركي، ط 1، مؤسسة الرسالة، 2006م، 22/ 445.

35– ينظر: شهاب الدين السيد محمود البغدادي الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، إدارة الطباعة المنيرية، ودار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، [د. ت]، 30/ 222.

36– نظم الدرر: 22/ 223.

عيشهم ودعته في الجنة دائم لا يتكدّر بحال من الأحوال، فلا ينقص رضاهم بها ولا انقياد ملذاتها لهم[37].

"أُمّه هاوية" الهاوية النار سمّيت بذلك لأنّهم يهوون فيها على بُعْد قعرها، وقيل: الهاوية اسم لباب أسفل جهنّم لا جميعها، وللعلماء في المعنى المراد بهذا التركيب تأويلات ثلاثة هي: مستقرّه النار، أم رأسه هاوية في النار، إخبار بهلاكهم فالعرب إذا دعت على رجل بالهلاك قالوا: هوت أمّه[38].

وجميع ما ذكر العلماء في معناها متقارب فالمراد في جميعها تحقق هلاكه بدخول النار؛ ومفردة الأم هنا تحقّق ذلك المعنى بأشد أنواع الترهيب فالمعنى أنّه كما ليس للإنسان إلاّ أماً يأوي إليها كذلك ليس لمن خفت موازينه إلاّ النار مأوى فصارت له كالأم[39].

وقد أظهر أسلوب التجريد في الآية شدّة هول ولوج الظالمين في جهنّم من خلال انتزاع أشدّ صفات الالتصاق والاستقرار، وهي نزول المرء في حضن أمّه والتصاقه بها ساعة الفزع ثمّ أسنده إلى الهاوية التي هي اسم للنار بصفة عمق قعرها[40].

أمّا قوله تعالى: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ فقد ورد هذا التركيب مرتين في القرآن الكريم هما هذا الموضع وفي سورة الغاشية في قوله تعالى: ﴿تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾، ويراد شديدة الحرارة، وقد خرّج العلماء لفظ الحامية في هذا الموضع على نحوين:

37- نبّه إلى هذا الملمح اللطيف الدكتور: حاتم التميمي في بعض محاضراته ومن كلامه أوجزت ما ذكرت هنا.

38- ينظر: محمد بن جرير بن يزيد الآملي الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: عبدالله عبدالمحسن التركي، ط 1، دار هجر، 2001م، 24/ 595 - 596، والرازي، مفاتيح الغيب: 32/ 268.

39- ينظر، الفراء، معاني القرآن: 287/3، والطبري، جامع البيان: 24/ 596، وابن عطية، المحرر الوجيز: 30/ 678 - 679، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 22/ 446، والبقاعي، نظم الدرر: 22/ 223.

40- ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 515.

الأول وقاله غالب العلماء: والمـــراد أنّ سائر معهودكم من النار ليست حامية مقارنة بها أي هي أشدّ حرّاً من نار الدنيا.

أمّا الثاني فقاله الطبري: أي التي أوقد عليها وعلى هذا المعنى فإنّ لفظ حامية وإن كان اسم فاعل فيراد به المفعول، محمي عليها[41].

وقد فسّر العلماء لفظ حامية في سورة الغاشية على معانٍ خمسة:

الأول: أنّها دائمة الحمي وليست كنار الدنيا التي ينقطع حميها بانطفائها.

الثاني: المراد بالحامية أنّها حمى يمنع من انتهاك المحرمات.

الثالث: معناه أنها تُحمي نفسها فلا تطاق ملامستها كما يحمي الأسد عرينه، ومثله قول النابغة:

تعدو الذئاب على من لا كلاب له * * * وتتقي صولة المستأسد الحامي[42]

الرابع: أنّها حامية من غيظ وغضب الله تعالى، وفي ذلك مبالغة في شدة الانتقام.

الخامس: وقاله أبوالقاسم النيسابوري تحمي نفسها فلا تنطفئ[43].

ولعلّ ذلك ما جعلهم يكتفون بالقول أنّها أشدّ من نار الدنيا دون تفصيل راجع إلى سبق بيانهم للمفردة في سورة الغاشية، ويمكن القول بأنّ مفردة "حامية" جاءت على وزن فاعل وإمّا أن يراد بها بأنّها فاعلة لا للإيقاد وإنّما لا يطفئها شيء، وإمّا أن يراد باسم الفاعل المفعول أي محمية

41- ينظر: الطبري، جامع البيان: 24/ 596، علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، النكت والعيون، تح: السيد عبد المقصود، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، [د. ت]، 6/ 258 – 259، جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تح: عبد الرزاق المهدي، ط 1، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، 1422هـ، 4/ 484، والرازي، مفاتيح الغيب: 32/ 268، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 22/ 447، والبقاعي، نظم الدرر: 22/ 223.

42- البيت من البسيط، الشاهد فيه لفظ "الحامي"، النابغة الذبياني، ديوان النابغة، تح: محمد أبوالفضل، ط 2، دار المعارف، القاهرة، ص245.

43- ينظر: محمود بن أبي الحسن النيسابوري، إيجاز البيان عن معاني القرآن، تح: حنيف بن حسن القاسمي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1415هـ، 2/ 874.

موقد عليها، وهذا يعطي وصف النار مبالغة في المعنى وفيه إشعار بأنّها تجاوز الحدّ المعهود فهي في كلا الحالين لا تفتر، على المعنى الأول لأنّ أمر الله لها بإحماء نفسها لا يزول عنها دون أمره لها وهو مخالف لنار الدنيا التي تفتر وتنطفئ وعلى المعنى الثاني أنّها محمية على الدوام دون انقطاع.

وتظهر فاصلة الهاء في ست مواضع، اثنان منها مشبعة بحركة الضّم وهي: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾، و﴿فَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ وتظهر الأخريات لسكون التاء وتحررها من الحركة: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ و﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ و﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ وأمّا الهاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾ فهي مزيدة، ويختلف التعبير في كلّ حالة من أحوالها، فالهاء المشبعة بالحركة توحي بالحدّة والشدّة، وهي مظاهر يوم القيامة عند نصب الميزان فلا يغادر الحساب صغيرة ولا كبيرة ممّا عمل الإنسان فإن كان ساكناً حمل دلالة كلّ شعور جياش في الصدر من التأوه والحزن لمن كان من أهل جهنم وهوى فيها، والفرح لمن كان من أهل الجنة لعلمه بنعيمها[44].

تناسق السؤال والجواب.

لفظ القارعة لفظ فيه إجمال، وهو افتتاح مَهول فيه ترويع وتخويف، وقد أُلقي به سبحانه مفرداً بلا خبر ولا صفة ليلقي بظله وجرسه على السامعين بها، وهذا الإيحاء المدوِّي كالقذيفة يقرع بهوله القلوب[45]، وفيه إثارة وتشويق إلى معرفة ما سيأتي بعده من خبرها.

ولأنّ الأمر العظيم من شأنه أن يستفهم عنه، فصار التعظيم والتهويل مع الاستفهام متلازمين فناسب ذلك مجيء قوله تعالى: ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ استفهام بعد تصدير مفردة "القارعة"؛ ولكنّ الأصل فيه أن يقال: "الْقَارِعَةُ مَا هِيَ؟" أي: أيُّ شيء عظيم مَهول هي؟ فوضع الاسم الظاهر موضع الضمير تفخيماً لشأنها وفظاعة هولها؛ لأنّها شيء خَفِيَ عليك جنسه وعُدم نظيره في علوم الخلق ومعهودهم[46].

44- ينظر: عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها: ص192 - 194.

45- ينظر: سيد بن قطب، في ظلال القرآن، ط 32، دار الشروق، 2003م، 6/ 3960.

46- ينظر: محمد بن محمد العمادي الحنفي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تح: عبدالقادر عطا، مطبعة السعادة، [د. ت]، 5/ 569.

فكان السؤال عن جنسها وعن جوهرها لا يراد به حقيقة الاستفهام وإنّما يراد به التهويل والتعظيم على طريقة المجاز المرسل[47]؛ إذ أنّ "لفظة "ما" وضعت لطلب ماهيات الأشياء وحقائقها، تقول: ما الملك؟ وما الروح؟ وما الجن؟ والمراد طلب ماهياتها وشرح حقائقها، وذلك يقتضي كون ذلك المطلوب مجهولاً، ثم إنّ الشيء العظيم الذي يكون لعظمه وتفاقم مرتبته ويعجز العقل عن أن يحيط بكنهه يبقى مجهولاً، فحصل بين الشيء المطلوب بلفظ ما وبين الشيء العظيم مشابهة من هذا الوجه، والمشابهة إحدى أسباب المجاز، فبهذا الطريق جعل "ما" دليلاً على عظمة حال ذلك المطلوب وعلو رتبته، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أدرَاكَ مَا سِجِّين﴾[48]"[49].

وللإمعان في تهويل المسؤول عنه قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ وليس المراد بالسؤال حقيقته إنّما هو مبالغة لزيادة التهويل والتعظيم، والخطاب فيه لغير معين، والمعنى: أيُّ شيء أدراك أيها السامع: ما القارعة؟ وقد يكون الاستفهام إنكاريًا، أي: لا دراية لك بكنهها، ومدى عظمها وشدّتها، أي أنّها في العظم والشدة، بحيث لا تبلغها دراية أحد ولا تقديره[50].

وقد أجابهم سبحانه عن سؤالهم بذكر حال مخلوقين من مخلوقاته فقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾، وقال سبحانه مختتماً جوابه بقوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾.

وقد يظهر للقارئ أول الأمر أنّ السورة إنّما حُكي أولها سؤال أهل الكفر والعناد عن كهنها وصفتها ذاتها فأي علاقة تربط بين الكائنات التي جاء ذكرها وبين سؤالهم عن ماهيتها.

47- ينظر: مكي بن أبي طالب القيسي، الهداية إلى بلوغ النهاية، تح: زارة صالح وآخرين، ط1، الكتاب مجموعة رسائل جامعية، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي جامعة الشارقة، 2008م، 12/ 8409، والرازي، مفاتيح الغيب: 31/ 3.

48- سورة المطففين، الآية 8.

49- الرازي، مفاتيح الغيب: 31/ 3 – 4.

50- ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز: 8/ 385، 677، والرازي، مفاتيح الغيب: 32/ 266.

ويمكن القول بأنّه تعالى لمّا كان قد بيّن أن لا قبل لأحد بمعرفة كهنها ناسب أن يبيّن سبحانه للمخاطبين بها الأهوال التي تلحق عظيم مخلوقاته فبدأ بالإخبار عن الأناسي الذين هم أعظم مخلوقاته الدابة بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ فذكر أنّهم سيكونون في حال اضطراب شديد ينسلون حيارى لا يعلمون ما يفعلون فخالفوا بذلك أصل سعيهم في الدنيا ووافق حالهم في شدائد أيامهم وأوقات خوفهم وجزعهم، وقد أمعن سبحانه في إظهار خوفهم فقرنه بذلة التداعي إلى الداعي كما يتطاير فراخ الجراد إلى النار[51].

ولمّا أنّ شبّه سبحانه أهل المحشر لضعفهم وحيرتهم واضطرابهم بالفراش المبثوث وهم أقوى مخلوقاته تعالى الدابة، عقّب ذلك بوصف لحال أعظم مخلوقاته الجمادات وهي الجبال فشبَّه الجبال بالعهن وشبّه تفكك أجزائها وتطايرها هباء في الجو بالمنفوش من العهن فناسب بين المشبَّه، والمشبَّه به إذ الجبال يوم القيامة يتغير حالها فبعد شدّتها وصلابتها تدكّ وتصبح كثيباً مهيلاً وكلّ ذلك من هول الساعة وفي وصف حال الجبال في هذه الآية مزيد معنى عن وصف حالها في سورة المعارج حيث قال تعالى: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾[52]، فقد وصفت في سورة المعارج بخفتها وفي آية القارعة بخفتها وتطايرها ولا يخفى ما في ذلك من هول إذ أنّ الجبال الراسيات قد صارت بخفة الصوف وصلابتها قد صيّرت قطعاً لينة[53].

أي أنّ الجبال لتفتتها وتفرق أجزائها لم يبقَ لها إلا صورة الصوف المنفوش فلا تلبث أن تذهب وتتطاير، فكيف يكون الإنسان حين حدوثها وهو ذلك الجسم الضعيف السريع الانحلال، فيكون المعنى لا تسأل عن كهنها وإنّما اسأل عن حالك فيها واعمل لها عملها فلا شيء في زمانها يكون على معهود كهنه.

51- ينظر: الفرّاء، معاني القرآن: 3/ 286، والرازي، مفاتيح الغيب: 32/ 267، والبقاعي، نظم الدرر: 22/ 222.

52- سورة المعارج، الآية 9.

53- ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز: 8/ 678، والرازي، مفاتيح الغيب: 32/ 267، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 513.

وفي إعادة فعل الكون في قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ بعد عطفه على نظيره السابق في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ دلالة على تغاير المعنى المراد من كليهما، فالأول يحمل معنى الإيجاد الذي يحصل ببعث الناس من قبورهم، والثاني: يحمل معنى الاضمحلال والفناء، فقد كانت الجبال موجودة وهي تزول في العالم الآخر[54]، وفي ذلك زيادة تهويل للموقف إذ ختمه بتحذير لهم، يقول الرازي: "لم يقل: يوم يكون الناس كالفراش المبثوث والجبال كالعهن المنفوش بل قال: وتكون كالعهن المنفوش لأن التكرير في مثل هذا المقام أبلغ في التحذير"[55].

أي أنّ الجبال لتفتتها وتفرق أجزائها لم يبق لها إلا صورة الصوف المنفوش فلا تلبث أن تذهب وتتطاير، فكيف يكون الإنسان حين حدوثها وهو ذلك الجسم الضعيف السريع الانحلال.

الخاتمة:

توصلت الدراسة إلى كشف ملمح من ملامح الإعجاز من خلال استخراج العلاقات والروابط التي تبرز بناء السورة وتبيّن ما يميزها عن غيرها من السور بما يخدم موضوع السورة ويبرز مقصدها ومحورها من خلال:

1- تناسقت فاصلة الهاء في السورة (وصلاً ووقفاً) مع الشعور السائد في أرض المحشر وأحوال الناس بعد وضع الميزان والحساب وافتراق الناس إلى صنفين معذّب ومنعّم؛ إذ دلّت على الضياع والتحسّر والاضطراب من جهة في ألفاظ "القارعة" و"الهاوية"، وأظهرت الارتياح والفرح من جهة أخرى في لفظ "راضية".

2- جاءت ألفاظ السورة مظللة بالمجاز الذي أعطى النّص القرآني طابعاً من التهويل في ذكر ماهية القارعة، وقد وظّف في ذلك الاستفهام غاية التوظيف.

3- مفردات السورة جاءت متناسقة مع محورها وهو الاضطراب والانتشار يوم الجزاء فقد ناسبت مفردة القارعة ما تلاها من مفردات في جواب السؤال عنها، فنفش الصوف يكون بقرعه بالمقراع كذلك ستتطاير الجبال في خفة الصوف قرعاً بهول القيامة.

54- ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 513.

55- مفاتيح الغيب: 32/ 267.

4- أظهرت التشبيهات الواردة في بيان أحوال الخلق والجمادات المشهد الحركي للقيامة بكلّ معاني الضعف والاستكانة.

5- المقابلة التي وردت بين جزاء المؤمنين والظالمين اختزلت في جنبات ألفاظها كلّ ما تفصله آيات سور أخرى من بيان أحوال الصلاح والجزاء المترتب عليها، ثمّ ذكر لأحوال الشرك وظلم النفس وعواقبه في الدنيا والآخرة، والذي أسهم في ذلك هو قصر فاصلة السورة.

6- وردت في سورة القارعة صيغ اسم الفاعل في مفردات عديدة منها: القارعة والهاوية وراضية وحامية، وغالبها يراد بها المفعول وهذا من باب المبالغة في معانيها ممّا أكسب السورة قوة وجزالة في صورة المعنى.

وختاماً له الحمد وله الشكر سبحانه وتعالى على أن يسر لي أمري في هذا البحث وأعانني على إخراجه، وأرجو أن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه تعالى خدمة لكتابه إنّه ولي ذلك والقادر عليه.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم، برواية قالون عن نافع.

ثانياً: المصادر والمراجع:

1- إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ط: بلا، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، [د. ت].

2- أحمد بن إبراهيم بن الزبير الحافظ الثقفي، البرهان في تناسب سور القرآن، تح: سعيد بن جمعة الفلاح، ط 1، دار ابن الجوزي، 1428هـ.

3- أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، ط: بلا، دار الفكر، 1979م.

4- أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ط 1، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، مصر، 1946م.

5- أحمد بن يوسف السمين الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تح: أحمد الخراط، ط 1، عالم الكتاب، 1414هـ.

6- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبوالفضل، ط3، مكتبة دار التراث، 1984م.

7- جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تح: عبدالرزاق المهدي، ط 1، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، 1422هـ.

8- حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، ط: بلا، منشورات: اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998م.

9- الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: محمد سيد كيلاني، ط: بلا، دار المعرفة، بيروت – لبنان، [د. ت].

10- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 2003م.

11- رؤبة بن عبدالله العجاج السعدي التميمي، ديوان رؤبة بن العجاج، تح: سعد ضنّاوي، ط1، دار صادر، بيروت، 1997م.
12- سراج الدين عمر بن علي الحنبلي، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1998م.
13- سيد بن قطب، في ظلال القرآن، ط 32، دار الشروق، 2003م.
14- _____، مشاهد القيامة في القرآن، ط 14، دار الشروق، القاهرة، 2002م.
15- شهاب الدين السيد محمود البغدادي الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، إدارة الطباعة المنيرية، ودار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، [د. ت].
16- عبد الحق بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد الله الأنصاري وآخرين، ط 2، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، 2007م.
17- عثمان بن جني، سرّ صناعة الإعراب، تح: حسن هنداوي، ط 2، دار القلم، دمشق، 1993م.
18- عثمان بن سعيد بن عثمان الداني، البيان في عدّ آي القرآن، تح: غانم قدوري أحمد، ط1، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق الكويت، (1994م).
19- علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، ضبط: محمد القاضي، ط: بلا، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، 1991م.
20- علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، النكت والعيون، تح: السيد عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، [د. ت].
21- فاضل بن صالح بن مهدي السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ط 3، دار عمار، الأردن، 2003م.
22- فخر الدين محمد ابن ضياء الدين عمر الرازي الشهير بخطيب الريّ، التفسير الكبير "مفاتيح الغيب"، ط 1، دار الفكر للطباعة والنشر، 1981م.

23- محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تح: عبد السلام هارون وآخرين، الدار المصرية، [د. ت].
24- محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآيّ الفرقان، تح: عبدالله التركي وآخرين، ط 1، مؤسسة الرسالة، 2006م.
25- محمد بن جرير بن يزيد الآملي الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: عبدالله عبدالمحسن التركي، ط 1، دار هجر، 2001م.
26- محمد بن عمر بازمول، التناسق الموضوعي في السورة القرآنية، مذكرة لطلبة الدراسات العليا، جامعة أم القرى، [د. ت].
27- محمد بن محمد العمادي الحنفي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تح: عبدالقادر عطا، ط: بلا، مطبعة السعادة، [د. ت].
28- محمد بن مكرم بن علي بن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله الكبير وآخرين، ط: بلا، دار المعارف، [د. ت].
29- محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط، تح: عادل عبد الموجود وآخرين، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1993م.
30- محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد "التحرير والتنوير"، الدار التونسية للنشر، 1984م.
31- محمود بن أبى الحسن النيسابوري، إيجاز البيان عن معاني القرآن، تح: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1415هـ.
32- محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عادل عبد الموجود وآخرين، ط 1، مكتبة العبيكان، 1998م.
33- مكي بن أبي طالب القيسي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تح: أحمد فرحات، ط 3، دار عمار، عمان – الأردن، 1996م.
34- _____، الهداية إلى بلوغ النهاية، تح: زارة صالح وآخرين، ط 1، الكتاب مجموعة رسائل جامعية، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي جامعة الشارقة، 2008م.

35- النابغة الذبياني، ديوان النابغة، تح: محمد أبو الفضل، ط 2، دار المعارف، القاهرة، [د.ت].
36- وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط 2، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، 1418هـ.
37- يحيى بن زياد الفرّاء، معاني القرآن، ط 3، عالم الكتب، 1983م.